روايات سبي النساء في العهد النبوي دراسة تحليلية في ضوء المصادر الاسلامية والفكر الاستشراقي

The Narratives of Capturing Women during the Prophetic Era: An Analytical Study in Light of Islamic Sources and Orientalist Thought

م. د بان صادق عيدان الخرسان

Dr. Ban Sadiq Idan Al-Kharsan
Al-Mustansiriyah University – College of Arts
الجامعة المستنصرية– كلية الآداب

drban@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص:-

كان السبي من الظواهر المتجذرة في مجتمعات العرب قبل الاسلام وكان التعامل مع السبي يخضع للأعراف القبلية والممارسات التقليدية التي تعتمد على منطق القوة والغلبة وغالباً ما كان يتم استعباد النساء وبيعهن في اسواق النخاسة ومعاملتهن بطرق وحشية، فلم تكن هنالك قوانين تضبط التعامل معهن، الا انه عندما جاء الاسلام وضع تشريعات وضوابط تهدف الى تقنين هذه الظاهرة وفق مبادئ الرحمة والعدالة التي تحفظ كرامة الانسان.

تتناول هذه الدراسة موضوع سبي النساء في العهد النبوي وهو من المواضيع الحساسة والمهمة التي سيء فهمها من قبل بعض الرواة وأُثير حولها الشبهات من قبل الباحثين الغربيين(المستشرقين)

تهدف هذه الدراسة الى تقديم قراءة نقدية للروايات التاريخية التي وردت في كتب السيرة والتاريخ وتحليلها وفق السياق التشريعي والتاريخي، فضلاً عن تناول آراء المستشرقين والرد عليها.

الكلمات المفتاحية: السيرة النبوية، السبي، فكر ، استشراق

Abstract:
Captivity was a deeply rooted phenomenon in pre-Islamic Arab societies. The treatment of captives, particularly women, was governed by tribal customs and traditional practices based on the logic of power and dominance. Women were often enslaved, sold in slave markets, and treated in brutal ways, as no laws regulated their treatment. However, with the advent of Islam, new legislation and guidelines were introduced to regulate this phenomenon in accordance with the principles of mercy and justice, aiming to preserve human dignity.

This study addresses the topic of female captivity during the Prophetic era—a sensitive and significant subject that has often been misunderstood by some narrators and has sparked controversy among Western scholars (Orientalists). The study aims to provide a critical reading of the historical narratives found in books of biography and history, analyzing them within their legal and historical context. It also examines the views of Orientalists and offers responses to their claims.

Keywords: Prophetic Biography, Captivity, Thought, Orientalism

أهمية البحث:- تأتي أهمية هذه الدراسة كونها تتناول أحدى المواضيع الحساسة والمهمة والمُثيرة للجدل في السيرة النبوية الا وهو موضوع سبي النساء الذي شكل مادة خصبة للتشكيك والطعن في تعاليم الدين الاسلامي وفي سيرة النبي الأكرم محمد(صلى الله ليه واله) لاسيما في الدراسات الاستشرافية التي اثارت هذا الموضوع كأحد المأخذ الرئيسية على سيرة النبي اذ اعتبروا زواجه من الاسيرات نوع من الممارسات التي بها اكراه واجبار للنساء وهذا الموضوع لا زالت الدراسات تتحدث به حتى يومنا هذا.

أشكالية البحث:- تكمن اشكالية هذه الدراسة في الكشف عن مدى صحة الروايات المتعلقة بالسبي ومدى مصداقية الطرح الاستشراقي في تحليل ظاهرة السبي وتتفرع عن هذه الاشكالية مجموعة تساؤلات منها:-

١- هل ان السبي كان ظاهرة شائعة في العهد النبوي ام كان مقيداً بأطر وتعاليم دينية تحدده.

٢- مدى موثوقية الروايات التي صورت النبي الاكرم محمد(صلى الله عليه واله)بأنه كان مشجعاً لسبي النساء.

٣- معرفة كيف تعامل المستشرقين مع روايات السبي، قراءتهم لها هل كانت موضوعية ام متحاملة ام كانت خاضعة لمغالطات منهجية ودوافع أيديولوجية.

منهج البحث:- اما منهجنا في العمل فقد اشتمل على مرحلتين : المرحلة الأوّلى تمثلت بقراءة متأنية لروايات السبي ولاسيما في السرايا والغزوات التي اتفق على وقوع سبي فيها، اما المرحلة الثانية فقد تمثلت بمناقشة الباحثة لتلك الروايات وتحليلها ونقدها بمنهج علمي موضوعي يجمع بين قراءة الروايات الواردة في مصادر الحديث والسيرة والتاريخ الاسلامي وتحليلها ونقدها من حيث السند والمتن، اضافة الى عرض الآراء الاستشراقية التي تم انتقائها من اتجاهات مختلفة ونقدها.

خطة البحث:- جاءت خطة البحث موزعة على ملخص وثلاث مباحث وخاتمة وفق الترتيب الأتي:-

الملخص تناول عرضاً عاماً لموضوع السبي، اما المبحث الأول فجاء بعنوان السبي بين التأصيل اللغوي والاصطلاحي: لمحة تاريخية عن سبي النساء في المجتمع العربي قبل الاسلام تناولنا فيه تعريف السبي وتقديم لمحة تاريخية عن السبي في المجتمع العربي قبل الاسلام، وخصص المبحث الثاني لدراسة روايات سبي النساء اليهوديات وعرضنا فيه نماذج من الطرح الاستشراقي حول هذا الموضوع ونقدها، وانبرى المبحث الثالث في دراسة روايات سبي النساء العربيات وموقف المستشرقين منها، وانتهى البحث بخاتمة تضمنت خلاصة نتائج البحث.

المبحث الأول

السبي بين التأصيل اللغوي والاصطلاحي: لمحة تاريخية عن سبي النساء في المجتمع العربي قبل الاسلام.

السبي لغةً:- اصله مصدر للفعل سبى يسبى سبياً أي أسره، والسبي يُطلق تارة على الفعل وتارة على الاسير فيكون من باب فَعل بمعنى مفعول (ابن منظور، ١٩٨٥، صفحة ٣٦٧) ويدل الى اخذ الشيء من بلد الى اخر كرهاً (ابن فارس، ١٩٨٤، صفحة ١٣٠)

وقد خص بعض علماء اللغة السبي بالنساء (الفيروز ابادي، ١٩٨٣م، صفحة ٤٣٠) والبعض الاخر خصه بالنساء والاطفال والأسر بالرجال (عبد المنعم، معجم المصطلحات والالفاظ الفقهية، د.ت، صفحة ١٧٢)

وكانوا يطلقون على المرأة التي تسبى من اهلها الاخيذة او النزيعة التي تؤخذ الى غير بلادها (الزبيدي، د.ت، صفحة ٣٦٦).

ويمكن ان نعرف السبي في الاصطلاح بناء على التعريف اللغوي فنقول انه أسر النساء والاطفال عقب انتهاء المعركة او اثناء وقوعها اذ ينقلون الى حيازة المنتصرين.

لمحة تاريخية عن سبي النساء في المجتمع العربي قبل الاسلام.

لا يُمكن ادراك أثر الاصلاح الذي احدثه الاسلام في مسألة السبي الا بعد تقديم لمحة مختصره عن الممارسات التي كانت سائدة في المجتمع الجاهلي، فقد كانت ظاهرة السبي ممارسة مألوفة تمارس ضمن اطار السياقات القبلية ويغلب عليها سمات القوة والفوضى بعيداً عن اي تنظيم يكفل كرامة الانسان او يحفظ حقوقه فالمرأة المسبية كانت تعامل معاملة المال المباح تورث احياناً وتُباع وتُشترى دون ان تحظى بأي حقوق تحميها من الاهانة والاستغلال، من هذا الواقع المتردي جاء الاسلام ليحدث ثورة وتحولاً جذرياً في حياة هذه الفئة واسس لمنظومة تشريعية تهدف الى تقنين هذه الظاهرة والحد منها. وذكرت الروايات الكثير من تلك المعارك التي عُرفت بالادبيات التاريخية باسم الايام منها: يوم ذي الأثل (ابو الفرج الاصفهاني، د.ت، صفحة ٥٦) ويوم الفيفاء (النويري، ١٩٠٥، الصفحات ١٧٥ – ٢٧٤) وغيرها ففي تلك المعارك اصابوا سبياً كثيراً باعتباره احد مظاهر التفوق القبلي قبل مجيء الاسلام.

وكانت المرأة المسبية تُعامل معاملة المال المباح تورث احياناً وتُباع وتُشترى دون ان تتمتع بأي حقوق تحميها من الاهانة والاستغلال فكان مصيرهن هو الخدمة في المنازل والغناء وتسمى الامة المغنية بالكريبة والقينة واول من غنى من الاماء جاريتين يُدعين بالجرادتين كانتا لمعاوية بن بكر من قبيلة عاد (الزيات، ٢٠١٢م، صفحة ١٤) وبالغوا في شراء المغنيات صاحبات الصوت الجميل اللاتي يكسبن لأصحابهن المال والهدايا مما يعوض عليهم بعض ما انفقوه في شرائهن (الجاحظ، ١٩٦٥م، صفحة ٦٤) كما كان يتم استخدامهن في البغاء وكان يُطلق عليهن تسع صواحب وهن البغايا اللاتي كن ينصبن على ابوابهن رايات تكون علماً فمن اراد دخل عليهن وتفاوض معهن في اجورهن (الطبري م.، ٢٠٠٠م، صفحة ٧٥) ومنهن ام مهدون سبية السائب بن ابي السائب المخزومي وحنة القبطية سبية العاص بن وائل وام غليظ جارية صفوان بن امية و وقرينة جارية هشام بن ربيعة وشريفة سبية زمعة بن الاسود وغيرهن كثير (علي، ٢٠٠١م، صفحة ١٣٥) وكانت بيوتهن تُسمى المواخير لا يدخل عليهن ولا يأتيهن الا زان من اهل القبيلة (صبور، ١٩٩٦م، صفحة ٤٢٠)

فضلاً عن ذلك كان ابنائهن يُعيرون بأمهاتهم وتؤكد لنا الروايات التاريخية ذلك عندما اشتكت الغفارية السبية لزوجها عروة بن الود عن سخرية القوم من اولادها بقولهم لهم يا ابناء الاخيذة (الواقدي، المغازي، ٢٠٠٦، صفحة ٣٧٦)

هذه لمحة مختصرة عن وضع المرأة المسبية في المجتمع العربي قبل الاسلام.

المبحث الثاني

روايات سبي النساء اليهوديات وموقف المستشرقين منها رؤية تحليلية نقدية

جاء الدين الاسلامي وشرع تقنين غريزة الصراع لأجل البقاء ووظفها لخدمة الحق ونشر الدين الاسلامي وحدد القران الكريم الاسباب التي يحق فيها للمسلمين شن الحروب وتتمثل بالدفاع عن الدين الاسلامي ورد العدوان وتأديب الذين ينكثون العهود وكل هذا اشار اليه القرآن الكريم الذي هو دستور الامة في آيات عدة منها قوله تعالى(فمن اعتدى عليكم فأعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) (سورة البقرة ، الآية: ١٩٤) وكذلك قوله عزوجل(وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون) (سورة التوبة ، الآية: ١١٢)

ان الحديث عن سبي النساء في الحروب التي شهدها العهد النبوي يُعد من اكثر المواضيع تشعباً في الدراسات التاريخية واكثرها حساسية وذلك لما انطوى عليه من جدل واسع في روايات المؤرخين والمفسرين ولما يحمله من ابعاد تشريعية وانسانية واجتماعية فضلاً عن كونه محط اهتمام المستشرقين الذين حاولوا تأويل هذه الظاهرة وفق اهواءهم وتصوراتهم بالاعتماد على قراءات مجتزأة للنصوص والروايات ومن هذا المنطلق فأنه من الضروري الوقوف على تفاصيل الوقائع التي شهدت حالات سبي للنساء وتحليلها وفق المعطيات القرآنية والتاريخية لفهم الخلفية الحقيقية التي افرزت مثل هذه التصورات والاحكام.

وفي هذا السياق تبرز غزوة بني قريظة كأول حادثة شهدت سبي لنساء يهوديات في عهد النبي الاكرم محمد(صلى الله عليه واله) سببها نكث يهود بني قريظة للعهد وتحالفهم مع المشركين بقيادة حيي بن اخطب في محاولة مشتركة للقضاء على الدولة الاسلامية الفتية ويمثل هذا التحالف خيانة صريحة للمعاهدة التي اقروها فيما سبق (مقاتل، ٢٠٠٣م، صفحة ٤٢) (ابن هشام ا.، ١٩٨٦م، الصفحات ١٩٥-١٩٦) (الطبري م.، ٢٠٠٠م، صفحة ١٥٧)

وبعد ان علم النبي الاكرم بخيانتهم لم يتخذ اي قرار عسكري بل تريث حتى تحقق من صحة المعلومات التي وردت له وبعد ان تأكد بالدليل القاطع تحرك اليهم بجيشه بعد ان جاءه الأمر من الله عزوجل (الواقدي، المغازي، ٢٠٠٦، الصفحات ٤٨٨-٤٩١) (ابن هشام ا.، ١٩٨٦م، صفحة ٧١٤)

(الطبري م.، ٢٠٠٠م، الصفحات ١٥٧-١٥٨)ان تناول ما جاء في هذه الغزوة يُعد مدخلاً مناسباً لفهم طبيعة المعاملة التي حظيت بها النساء اليهوديات وفق المبادئ التي ارساها الدين الاسلامي، نحنُ هُنا لسنا بصدد ذكر تفاصيل الغزوة الا انه لنا معها وقفات لما يلاحظ فيها من وجود اختلاف في بعض التفاصيل الامر الذي يستوجب دراسة متأنية لاسيما فيما يتعلق بروايات السبي، اذ ذكرت الرواية التاريخية ان عدد السبي بلغ الف من النساء والصبيان (الواقدي، المغازي، ٢٠٠٦، صفحة ٥٢٣) اما فيما يخص عدد من قُتل فقد تباينت فيه الروايات التاريخية فبعضها ذكر انهم ستمائة وقيل سبعمائة وخمسين مقاتل (مقاتل، ٢٠٠٣م، صفحة ٤٨٥) (الماوردي ع.، د.ت، صفحة ٣٩٣) (الطبرسي، ١٩٩٥م، صفحة ١٤٩) (الطوسي، ١٩٨٨، صفحة ٥٩) في حين ذكرت روايات اخرى ان عددهم تراوح بين ثمانمائة الى تسعمائة (الطبري م.، ٢٠٠٠م، صفحة ١٨٥) (البغوي ، د.ت، صفحة ٥٢٣) (ابن كثير ا.، ١٩٩٢م، صفحة ٨٤٧) واشارت الروايات الى انه تم وضعه الرجال في دار اسامة بن زيد (الطبرسي، ١٩٩٥م، صفحة ١٨٩) والنساء في دار امرأة من بني النجار (الطبري م.، ١٩٩٥، صفحة ١٨٥)هذا الاختلاف في العدد يُثير الشك حول صحة ما تم نقله ربما ان هذا العدد يشمل السبي كله من رجال ونساء واطفال وحتى وان كان هذا العدد يشملهم جميعهم فأنه عدداً مبالغاً فيه بالنظر الى طبيعة المجتمعات القبلية آنذاك وعدد سكان القبائل ووضع هذا العدد في دار واحدة امراً مستبعد فأي دار يُمكنها استيعاب ذلك العدد لاسيما اذا تطرقنا الى وصف بيوت ذلك الوقت.

وعند تتبع الروايات التي تناولت مصير السبي وكيفية تعامل النبي معهم يتضح وجود اختلاف في التفاصيل التي تتعلق بمصير السبي وكيف تعامل معه النبي محمد(صلى اله عليه وآله) فالواقدي يذكر ان النبي الاكرم محمد قام بنفسه ببيع السبي (الواقدي، المغازي، ٢٠٠٦، صفحة ٥٢١) وفي موضع اخر يقول انه(صلى الله عليه واله) ارسل سعد بن عبادة لبيعهم (الواقدي، المغازي، ٢٠٠٦، صفحة ٥٢٣) بينما ورد في مصادر اخرى رواية مفادها ان النبي محمد(صلى الله عليه واله) بعث سعد بن زيد الانصاري الى منطقة نجد لأجل بيع جزء من السبي واشترى بثمنه سلاحاً وخيلاً (ابن هشام ا.، ١٩٨٦م، صفحة ٧٢٥) (الطبري م.، تاريخ الرسل والملوك، ١٩٦٨، صفحة ٥٢٥)

رغم ما يبدوا من اتفاق الروايات على بيع السبي الا ان النقد العلمي يستدعي ان نتوقف عند سند ومتن هذه الروايات فالروايتان اللاتي وردن عند الواقدي يمكن الاشكال عليها من ناحية السند لأنه ضُعف من قبل علماء الجرح والتعديل (البخاري م.، ٢٠٠٥م، صفحة ١٢٣) (النسائي، ١٩٧٦، صفحة ١٢٣) مما يضع بعض التفاصيل الواردة عنه محل شك اضافة الى انه عند متابعة سند

الرواية نجد ان شخصاً نقلها عن جده وهو محمد بن عبد الله بن مالك بن محمد بن ابراهيم بن اسلم بن نجرة الساعدي وعندما بحثنا عن ترجمة لهذا الشخص لم نعثر عليها الأمر الذي يُزيد من ضعف الرواية، فضلاً عن الاختلاف في اسماء الاشخاص اللذين تم ارسالهم لبيع السبي واذ تجاوزنا اشكالية السند نجد ان المتن يُثير تساؤلات عدة منها انه لم نجد رواية صحيحة في كتب اخرى ومنها كتب السنن والصحاح تُشير الى ان النبي قام ببيع السبي فمن الثابت انه(صلى الله عليه واله) اطلق سراح البعض وتزوج بعضهن فتصوير النبي ببيع السبي لا يتوافق مع الذي عُرف عنه بحكمته ورحمته وانسانيته في التعامل مع هذه الفئة بل يتعارض مع النص القرآني" فأما مناً وأما فداء" (سورة محمد، الآية: ٤) وكذلك احاديث النبي محمد الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحياً يوحى الذي اوصى بحسن معاملة الاسير منها قوله (صلى الله عليه واله) : ايما رجل كانت عنده جارية فعلمها واحسن تعليمها وادبها فأحسن تأديبها ثم اعتقها وتزوجها فله اجران" (البخاري م.، ٢٠٠٢، صفحة ٣١) (البزار، ١٩٨٨م، صفحة ٧) نلاحظ حث النبي على حسن معاملتهم كما رغب بالزواج منهم وكذلك وصاياه بتقديم الطعام لهم وأمر المسلمين ان لا يفرقوا بين الأم وابنائها حتى يبلغوا (الواقدي، المغازي، ٢٠٠٦، صفحة ٥٢٤)

اذا فرواية الواقدي ضعيفة سنداً ومتناً وبعض الروايات قد تكون مدسوسة او تم تضخيمها من قبل الرواة او المؤرخين لأغراض اجتماعية او سياسية في زمن جمعها لذلك لا يُمكن اعتبار جميع النصوص التاريخية هي حجة قطعية على افعال النبي الاكرم محمد(صلى الله عليه واله).

اما فيما يخص اصطفاء النبي محمد(صلى الله عليه وآله) لأحدى سبايا بني قريظه فقد ذكرت الروايات انها ريحانه بنت زيد امرأة من بني النضير كانت متزوجه من رجل قرضي اصطفاها النبي لأعجابه بها وبجمالها (الواقدي، المغازي، ٢٠٠٦، صفحة ٥٢٠) غير ان رواية اخرى ذكرت انها ريحانة بنت عمرو بن خنافه، ولم تسلم في بادى الامر مما اثر في نفس النبي الاكرم فطلب من ثعلبة بن سعيه القرضي ان يقنعها بالإسلام واسلمت الامر الذي اسر النبي الاكرم وارسلها الى ام المنذر سلمى بنت قيس حتى تطهرت ثم خيرها النبي ان يعتقها ويتزوجها وبين ان تكون في ملكه فأختارت ان تكون في ملكه يطأها حتى وفاتها (ابن هشام أ.، السيرة النبوية، ١٩٥٥ م، صفحة ٢٤٥) (الطبري م.، تاريخ الرسل والملوك، ١٩٦٨، صفحة ٥٩٢) (البُستي م.، ١٩٧٣، صفحة ٢٧٨)

نلاحظ الاختلاف في نسب ريحانه مما يعد مؤشراً على الاضطراب في النقل الأمر الذي يؤثر على دقة الرواية اضافة الى اشكالية التصوير العاطفي والاعجاب من قبل النبي اتجاه ريحانة، هذا

الطعن لا يصمد امام المعايير الأخلاقية التي رسخها الاسلام في التعامل مع السبي ولا مع خلق النبي الاكرم محمد(صلى الله عليه واله) ولا يصح ان يفهم هذا الاصطفاء على انه بدافع التعلق بالنساء والهوى كما حاول البعض تصويره بل يتجلى فيه البعد الديني والاجتماعي والانساني الذي ميز سلوك النبي مع الاسيرات ذلك السلوك الذي يحمل ابعادا تسعى الى تهدئة النفوس ودمج عناصر المجتمع الجديد ضمن الكيان الاسلامي لضمان تمتعهن بكافة الحقوق التي اقرها الاسلام، ومن المحتمل ان الرواية وضعت او حُرفت في العصور التالية لاسيما في العصرين الاموي والعباسي لأجل تبرير ممارسات الولاة والخلفاء على اقامة العلاقات مع الجواري دون زواج فأرادوا اضفاء صبغة شرعية بنسبة مثل هذه الاحداث للنبي الاكرم محمد(صلى الله عليه وآله)

اراد النبي ان يؤسس لمفاهيم جديدة كانت غائبة في المجتمع الجاهلي حاول ان يُهذب من سلوك الرجل ومن رغباته واهواءه، كما ان النبي وهو معلم الامة شجع على التعامل الانساني مع هذه الفئة من النساء وعدم تحويلها الى درجة ادنى من بقية الفئات.

ومن الوقائع العسكرية الأخرى التي ورد فيها وقوع سبي هي واقعة خيبر التي اعقبت اجلاء بني النضير عن المدينة وتوجههم نحو خيبر التي اتخذوها مكاناً لتحريض القبائل اليهودية ضد النبي والمسلمين اذ كان لهم دور بارز في تأليب بني قريظة فتحولت الى مركز تحريض وعداء معلن ضد الدولة الاسلامية الناشئة وازاء هذا التهديد المتصاعد بادر النبي الاكرم محمد(صلى الله عليه واله) بعد عودته من صلح الحديبية بأرسال كتاب لهم يدعوهم فيه الى الاسلام والكف عن ايذاء المسلمين الا انهم لم يستجيبوا الامر الذي استدعى تحرك عسكري انتهى الى ما عُرف بمعركة خيبر سنة ٧ للهجرة (الواقدي، المغازي، ٢٠٠٦، صفحة ٦٣٣) (ابن هشام ا.، ١٩٨٦م، صفحة ٣٢٨) كما اشرنا فيما سبق نحن هُنا لسنا بصدد ذكر تفاصيل المعركة وان ما يستوقفنا فيها هو مصير السبي.

عقب انتصار المسلمين واستتاب الامر لهم جمعت الغنائم والسبي توجه دحية الكلبي الى النبي محمد(صلى الله عليه واله) وطلب منه جارية من السبي فأذن له النبي بأن يذهب ويأخذ جارية فأخذ صفية بنت حيي بن اخطب وبعد ان علم احد الصحابة بذلك جاء الى النبي وقال له يا رسول الله ان صفية سيدة قومها ولا تليق الا بك عندئذ أمر النبي بإحضار دحية وصفية وعندما نظر اليها قال لدحية خُذ غيرها فأعتقها النبي وتزوجها بعد ان عرض عليها الاسلام وخيرها بين اعتناق الاسلام وبين البقاء على اليهودية ولحاقها بقومها فاختارت الاسلام وأمسكها لنفسه (ابن كثير أ.، ١٩٧٦ م، صفحة ٣٧٣) (البخاري م.، ٢٠٠٢، صفحة ٨٣) (ابن حنبل، ٢٠٠١، صفحة ٥١) الا ان الروايات الاخرى

الواردة في هذ الشأن تتفاوت في تفاصيلها فثمة رواية تذكر ان النبي الاكرم محمد(صلى الله عليه واله) لم يعطيها لدحية وانما اصطفاها لنفسه بعد افتتاح الحصن (الواقدي، المغازي، ٢٠٠٦، صفحة ٦٧٣) (الطبري م.، تاريخ الرسل والملوك، ١٩٦٨، صفحة ٩) (ابن هشام أ.، السيرة النبوية، ١٩٥٥ م، صفحة ٣٣١) (ابن سعد، د.ت، صفحة ٦٨) حين بلغه حسنها وخرج بها حتى بلغ سد الصهباء وبنى بنا هناك، ورواية ثالثة تذكر انها وقعت في سهم دحية الكلبي فاشتراها النبي منه بسبعة ارؤس ودفعها الى ام سليم لتُهيئها وبنى بها في سد الروحاء (السهيلي ، ١٩٩١، صفحة ٥٦٢) (المقريزي ، ١٩٩٩ م ، صفحة ٢١٨) (الشامي، ١٩٩٣، صفحة ٢١٣) تظهر في هذه الروايات ثلاث اختلافات في مواضع رئيسية وهي كيفية انتقال صفية بنت حيي الى النبي الاكرم (صلى الله عليه واله):- هل ان النبي اصطفاها مباشرة بعد افتتاح الحصن ام انه اعطاها لدحية ثم استردها منه ، الاختلاف الثاني في طريقة التملك هل النبي اخذها مقابل جارية واحدة ام مقابل سبعة من السبي لم نعرف عن النبي شراءه للسبي لأن مسألة الشراء غريبة عن منهجه والارجح انه تم اصطفاءها مباشرة والاختلاف الأخير هو مكان البناء بها هل هو في سد الروحاء ام في سد الصهباء لا يُبنى على اختلاف المكان حكماً جوهرياً ربما يكون الخلط حصل بين المكان الذي عُقد فيه الزواج وبين المكان الذي بنى بها فيه، اما فيما تذكره الروايه بأن النبي الاكرم(صلى الله عليه واله) انجذب الى جمال صفية بنت حيي عندما رآها فأصطفاها لنفسه ثم اعتقها وتزوجها فأن هذه النظرة تخالف البعد الاخلاقي في سلوك النبي مع النساء، لم يُعرف(صلى الله عليه واله) بسيرته الغريزية بل ان علاقاته كانت تقوم على الرعاية والرحمة والحكمة ولو كان الجمال هو الدافع عنده لما تزوج نساءً كبيرات في السن وارامل ومن المرجح ان مثل هذه الروايات نسجت في العصور اللاحقة الغرض منها تطبيع فكرة اتخاذ الجواري الحسان من قبل الحكام والولاة محاولين شرعنة نظام الجواري والسبي عن طريق الصاق مثل هذه النماذج بالنبي فأنتجوا رواياتً وادباً يركز على اتخاذ السبي وجمال الجواري بلا قيود.

والبعض ينكر وقوع سبي في معركة خيبر بالأستناد الى قول ابي هريرة : افتتحنا خيبر ولم نغنم ذهباً ولا فضة وانما غنمنا البقر والابل والمتاع والحوائط ثم انصرفنا مع رسول الله (أبي إسحاق الفزاري، ١٩٨٧، صفحة ٢٣٩) لا يمكن الاستشهاد بقول ابي هريرة لنفي وجود السبي لأنه لم يتطرق له في حديثه فضلاً عن ان السياق التاريخي العام يذكر وجود سبي في معركة خيبر وثبت هذا في روايات متواترة في عدة مصادر.

موضوع سبي النساء في الحروب التي خاضها المسلمون في العهد النبوي من أكثر القضايا التي شغلت المستشرقين ووظفوا اقلامهم للكتابة فيها لأجل تصوير الدين الاسلامي على انه دين يبيح العلاقة مع السبايا دون قيود ولأجل تحقيق هذه الغاية اعتمدوا على ما ورد في مروياتنا من ثغرات اذ ان الرواة والمؤرخين لم يوفقوا في نقل صورة دقيقة واوردو روايات شابها الكثير من الثغرات والمبالغات التي فتحت الباب امام المستشرقين لأجل توظيفها في تشويه صورة النبي الاكرم والطعن في سيرته العطرة ، اذ يُشير المستشرق غابريلي الى انه تم الحكم على جميع النساء والاطفال بالاستعباد (كربيلي، ٢٠١١، صفحة ١٦١) (الجميل، ٢٠٠٦ ، صفحة ٢٦٩) بينما اشار مستشرقين اخرين ومنهم جرنباوم الى انه تم بيع زوجات بني قريظة وابناؤهم في سوق النخاسة(الرقيق) (ارمسترونج، ٢٠٠٨م، صفحة ١٤٩) (الجميل، ٢٠٠٦ ، صفحة ٢٦٠) وليس هؤلاء فقط بل جاء المستشرق فاكا ليؤكد عملية البيع الا انه استبدل السوق بعبارة مثيرة وهي المزاد (الجميل، ٢٠٠٦ ، الصفحات ٢٦٠-٢٦١) ثم يأتي المستشرق ميور ليكمل هذه الفكرة بقوله أن جميع نساء بني قريظة تعرضن للأستعباد بعد وحشية رهيبة (الجميل، ٢٠٠٦ ، صفحة ٢٥٥) فيما زعم سبنسر ان النبي محمد(صلى الله عليه واله) كان معجباً بجمال صفيه واشتاق الى جمالها حتى انه لم يلتزم بالمدة المحددة للاستبراء، كما انه اشار الى سبي معركة خيبر بزعمه انه بعد انتهاء المعركة امر محمد باستعباد نساء القبيلة (Spencer, 2018, pp. 22,69)

نلاحظ هُنا القراءة الانتقائية للنصوص لتصوير الحدث بما يتماشى مع احكامهم المسبقة للممارسات الاسلامية زمن الحروب معتمدين على ما ورد من ثغرات في روايتنا ومتجاهلين ان النبي نفسه لم يسبق له ان باع امرأة(سبية) لأجل منفعة بل على العكس من ذلك ورد في العديد من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية وصايا كثيرة ومهمة تحث المسلمين على حسن التعامل مع النساء المسبيات منها الدعوة الى عتقهن والتزويج منهن كما فعل مع صفية بنت حيي بن اخطب والإحسان الى ما ملكت اليمين ومعاملتهم وفق مبادى الدين الاسلامي والسنة النبوية المطهرة عندما تُقرأ في ضوء رواياتها الصحيحة وسياقاتها الواقعية تكشف للجميع عن مشروع حضاري متدرج يسعى الى الارتقاء بمعاملة المرأة في السلم والحرب على حد سواء والى تحجيم ظاهرة الرق.

المبحث الثالث

روايات سبي النساء العربيات وموقف المستشرقين منها رؤية تحليله نقدية

احتوت كتب المغازي والسير وكتب التاريخ الاسلامي روايات تتناول سبي النساء العربيات في العهد النبوي واختلفت هذه الروايات في تفصيلاتها باختلاف مناهج المؤرخين والمحدثين في توثيقها واصبحت هذه الروايات فيما بعد مادة للتوظيف والتأويل من قبل بعض مؤرخي السلطات اللاحقة ومن قبل المستشرقين اذ اعتبرها البعض على انها توظيف الدين لتبرير الاستعباد ولتهميش المرأة، من هُنا تكتسب هذه الروايات اهميتها لفهم كيف تعامل معها المؤرخون والمستشرقون، سنحاول في هذا المبحث عرض وتحليل ابرز روايات سبي النساء العربيات بعدها ننتقل الى مناقشة الموقف الاستشراقي في ضوء المنهج النقدي والسياقات التي تشكّلت فيها تلك القراءات الغربية.

من الغزوات التي ورد فيها وقوع السبي هي غزوة بني المصطلق، والتي تأرجحت الروايات في تأريخها ما بين السنة الخامسة (الواقدي، المغازي، ٢٠٠٦، صفحة ٤٠٤) **والسادسة للهجرة** (ابن هشام أ.، السيرة النبوية، ١٩٥٥ م، صفحة ٢٨٩) (الطبري م.، تاريخ الرسل والملوك، ١٩٦٧، صفحة ٦٠٤) **اذ تجمع المصادر على أن هذه الغزوة لم تكن فعلًا ابتدائيًا من جانب المسلمين أنما كانت رد فعل على معلومات استخباراتية أشارت إلى استعداد بني المصطلق وحشد قواهم لمباغتة المدينة المنورة بالقتال،** وكما هو معروف عن سلوك النبي السياسي والعسكري المتسم بتحري اليقين وروية التدبير لم يقدم على اتخاذ قرار مواجهتهم الا بعد ان تأكد من صحة الخبر الذي ورده عندئذ ندب النبي الاكرم محمد(صلى الله عليه واله) المسلمين للخروج فتجهزوا وتوجهوا حتى بلغوا موضع المريسيع وتشير مجمل الروايات التاريخية الى ان المعركة انتهت بهزيمة بني المصطلق وأسر عدد من رجالهم ونسائهم (ابن هشام أ.، السيرة النبوية، ١٩٥٥ م، صفحة ٢٨٩) (الواقدي، المغازي، ٢٠٠٦، صفحة ٤٠٤) (البُستي م.، ١٩٩٦، صفحة ٢٥٣) هذه المقدّمة تكاد تتفق عليها الروايات التاريخية الا ان الاضطراب والاختلاف وقع في عدد السبي وفي تفاصيل سبي جويرية وما تلا ذلك من حوادث العتق والزواج.

فيما يخص عدد السبي فأن الروايات جاءت متفاوتة فيه بين تحديد وإجمال، بعضها ذكرت رقما محدداً وهو" مائتي اهل بيت" (الواقدي، المغازي، ٢٠٠٦، صفحة ٤١٠) (ابن سيد الناس، ١٩٩٣، صفحة ١٢٩) (ابن سعد، د.ت، صفحة ٤٩) والبعض الأخر ذكره بالمجمل" ونفل منهم النبي

محمد(صلى الله عليه وآله) ابناؤهم ونساؤهم واموالهم" (ابن هشام أ.، السيرة النبوية، ١٩٥٥ م، صفحة ٢٢٩) (ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ١٩٧٧، صفحة ٨٠) (الحميري، ٢٠٠٠، صفحة ٤٥٤) يُمكن القول أن هذه التقديرات المختلفة لا تُضعف الرواية التاريخية لأنها لا تذكر ارقاماً متفاوته بشكل كبير وربما توضح طبيعة التوثيق العربي القديم الذي يتبع السرد اكثر من تحديد الارقام يُراعي الغرض من السرد ويتجاوز ظاهر العدد.

تناولت الروايات التاريخية سبية واحدة في هذه المعركة هي ابنة سيد بني المصطلق جويرية بنت الحارث ونلاحظ اختلاف وتضارب الروايات حول من وقعت في سهمه وكيفية انتقالها الى النبي الأكرم محمد(صلى الله عليه واله) فبعضها ذكر أنها وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس وابن عمه وكاتبتهم على نفسها بسبع اواق من الذهب (البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ١٩٩٦م، صفحة ٤١٤) وقيل تسع (الواقدي، المغازي، ٢٠٠٦، صفحة ١٩٧) (الطبري م.، تاريخ الرسل والملوك، ١٩٦٧، صفحة ٦٠٩) (ابن الجوزي، ١٩٩٢، صفحة ٢١٩) ولم تذكر لنا الرواية اسم ابن عم ثابت الامر الذي يُعد نقص جوهري في بناء الرواية التاريخية في حين ذكر ابن هشام (ابن هشام أ.، السيرة النبوية، ١٩٥٥ م، صفحة ٢٩٤) انها كاتبته على نفسها دون ان يذكر مبلغ المكاتبة، اما فيما يخص كيفية انتقالها الى النبي الاكرم محمد(صلى الله عليه واله) هُنا ينقسم الرواة الى اتجاهين الأول يذكر ان النبي دفع الى جويريه ما كاتبت عليه ثم تزوجها (ابن إسحاق ، ١٩٧٨م ، صفحة ٢٦٣) (الطبري م.، تاريخ الرسل والملوك، ١٩٦٧، صفحة ٦١) (المقدسي، بلا تاريخ، صفحة ١٥) (ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ١٩٧٧، صفحة ٨٠) الامر الذي دفع البعض ليفسر ان النبي جعل عتقها مشروطاً بالزواج منها وهذا لا يتناسب مع القواعد التي ارساها الاسلام في مسألة النكاح كما انه لا ينسجم مع سيرة النبي الاكرم وخلقه فلم يعرف عنه انه اجبر امرأة على الزواج منه ومن المرجح انها التجأت الى النبي محمد تطلب منه المعونه في فكاك اسرها ودفع المبلغ الذي كاتبت عليه قيس فدفع عنها المبلغ تكرماً، لأنها كانت في حالة اسر وربما لم تمتلك المال الذي كاتبت فيه على نفسها ثم عرض عليها الزواج اكراماً لها وترك لها حرية الاختيار فوافقت لما رأت من خلقه وسماحته، فيما ورد برواية اخرى ان النبي محمد(صلى الله عليه وآله) اعطاها لرجل من الانصار كوديعة وامره بالاحتفاظ بها (الخركوشي ، ٢٠٠٣، صفحة ٤٤) مما يدلل على انه(صلى الله عليه واله) كان ينتظر ترتيب امرها ولم يتصرف بها كمالك مباشر، وورد في رواية اخرى عند الواقدي (الواقدي، المغازي، ٢٠٠٦، صفحة ٤١٢) ان الذي افتداها من ثابت بن قيس هو والدها ومن ثم خطبها النبي الاكرم من والدها فأنكحه اياها

اما مسألة صداق جويرية فقد اختلفت فيه الروايات ايضاً فبعضها ذكر ان صداقها كان عتق كل اسير من قومها (ابن إسحاق ، ١٩٧٨م ، صفحة ٢٦٤) (الواقدي، المغازي، ٢٠٠٦، صفحة ٤١٢) وأخرى ذكرت انه كان عتق اربعين شخصاً فقط وقيل ان النبي الاكرم من عليهم بغير فداء ومنهم من افتدي فافتديت المرأة والذرية بست فرائض (الواقدي، المغازي، ٢٠٠٦، صفحة ٤١٢) وابن هشام (ابن هشام أ.، السيرة النبوية، ١٩٥٥ م، صفحة ٦٤٦) ذكر ان النبي الاكرم محمد جعل صداقها اربعمائة درهم .

في حين ذكر البلاذري والطبري ان النبي بتزويجه منها : عتقها هي ومئة أهل بيت من قومها. (الطبري م.، تاريخ الرسل والملوك، ١٩٦٧، صفحة ٦١٠) (البلاذري، أنساب الأشراف، ١٩٩٦م، صفحة ٣٤١) ان مسألة الصداق تستوجب ان نقف عندها قليلاً فالتذبذب في عدد من أُعتق اذ نلاحظ تعدد الروايات واختلافها فبعضها ذكر انه عتق:- الكل، مائة، اربعين هذا الاختلاف يجعلنا نشك في الرواية لعدة اسباب منها : انها لم ترد في المصادر الاولى الاقرب للحدث اضافة الى ان النبي لا يملك الصداق كله لأنه من المتعارف عليه ان الاسرى يتم توزيعهم بعد المعركة مُباشرة فلم يكونوا جميعهم في ملكه حتى يجعلهم صداقاً، ومن المرجح ان عتقهم كان بعد الزواج بعد ان علم الصحابة بزواج النبي منها اطلقوا سراحهم وقالوا : اصهار رسول الله فتركوا ما في ايديهم، والرواية التي ذكرت ان صداقها ٤٠٠ درهم هي الرواية الاكثر قبولاً.

بعد استعراض الروايات الإسلامية وما احتوته من تفاوت في الطرح ننتقل الان الى مناقشة ملامح الخطاب الاستشراقي الذي حمل بعضه آراء متأثره بأحكام مسبقة وعدائية عمدت الى اختزال هذه الظاهرة في ابعاد غريزية وهذا التحامل بلغ ذروته بعبارات تحمل عداءً صارخاً للإسلام كما في قول احد المستشرقين ان" المسلمون ياخذون السبايا للجنس" (Spencer, 2018, p. 22) هذه العبارة تمثل ذروة الافتراء والتحامل الصارخ اتجاه شخص النبي الاكرم محمد(صلى الله عليه واله) متجاهلاً عمق المنظومة الاخلاقية والتشريعية التي ارساها الدين الاسلامي في التعامل مع السبايا وهي منظومة متقدمة على سائر الحضارات المعاصرة.

ونورد فيما يلي نص زعمه اتجاه الاسلام ونبي الاسلام" كان هنالك بعض النساء العربيات الممتازات بين اسرى بني المصطلق والقرآن سمح للمسلمين بممارسة الجنس مع الجواري اللاتي تم اسرهن في المعركة ويستند في زعمه الى ما نقل عن ابو سعيد الخدري : بأنهم قرروا مجامعتهن بالعزل ولكن محمد قال لهم ان هذا ليس ضرورياً وما عليكم الا ان تفعلوا فأن كل نفس لها ان تولد الى

يـوم القيامـة فهـي مولـودة، ويبلـغ الـنص ذروتـه بالتحامـل والمغـالاة حـين قـرر علـى نحـوٌ قـاطع: "إن استعباد النساء واغتصابهن كان امراً مفروغاً منه في الدين الاسلامي". (Spencer, 2018, p. 37)

هـذا الطـرح يقـوم علـى تفسـير مغلـوط عمـداً لـنص الحـديث، لأن حـديث العـزل لا يتعلـق بجـواز العلاقـة الاباحيـة مـع السـبايا ولا يُجيـز الاسـترقاق وانمـا ينـاقش فقهيـاً وسـيلة تنظـيم النسـل ولـيس دعـوة لممارسـة الجـنس دون قيـود كمـا زعـم المستشـرقون، ومـا يـنقض زعمهـم هـذا ويبطلـه هـو النمـوذج العملـي المتمثـل بـزواج النبـي الاكـرم محمد(صـلى الله عليـه والـه) مـن جويريـة بنـت الحـارث وعتـق قومهـا هـذا الموقـف الـذي يؤكـد البعـد الانسـاني والاخلاقـي فـي سياسـة النبـي محمد(صـلى الله عليـه والـه) لا التوظيـف الجنسي كما زعم بعض المستشرقين.

امـا المستشـرق كـاش (جبـري، د.ت، صـفحة ٣٠) فأنـه يسـلط الضـوء علـى وقـوع سـبي بيـد المسلمين من نساء بني المصطلق وقيام مجموعة من المسلمين بالزواج منهن زواج متعة .

لـم يـرد فـي كتـب الحـديث او السـير والمغـازي أي اشـارة الـى ان المسـلمين تزوجـوا مـن نسـاء بنـي المصـطلق زواج متعـة بـل تـم التعامـل مـع النسـاء المسـبيات وفـق احكـام السـبي المعروفـة وهـي ملـك اليمـين والاسـلام والاسـتبراء والـزواج الشـرعي كمـا حـدث مـع جويريـة بنـت الحـارث، ربمـا كـاش اسـتخدم هـذا المصـطلح كنـوع مـن التضـليل يُريـد ان يـوحي مـن خلالـه ان هـذه العلاقـة كانـت علاقـة اسـتغلال مؤقـت بينمـا هـي لـم تكـن كـذلك لأن هـدف الاسـلام مـن الحـث علـى الـزواج مـن ملـك اليمـين هـو لغـرض ادمـاجهن بالمجتمع وجعلهن جزءً منه.

اسـتمرارًا فـي تنـاول الروايـات المرتبطـة بوقـائع السـبي ضـمن السـرايا والمعـارك النبويـة، ننتقـل إلـى واحـدة مـن أبـرز المحطـات العسـكرية بعـد فـتح مكـة، الا وهـي **غـزوة حُنـين** التـي وقعـت فـي السـنة الثامنـة للهجـرة، أن سـبب المعركـة كمـا اشـارت اليـه الروايـات هـو قيـام قبيلتـي هـوازن وثقيـف بعـد فـتح مكـة بتشكيل تحـالف هجـومي ضـد المسـلمين بقيـادة احـد زعمـائهم وهـو مالـك بـن عـوف، الـذي قـرر نقـل الأمـوال والنسـاء والـذراري إلـى سـاحة القتـال لغـرض التعبئـة النفسـية والعقائديـة، ومـن جانـب المسـلمين خـرج النبـي محمـد (صـلى الله عليـه وآلـه) بجـيش قوامـه اثنـا عشـر ألفًـا مقاتـل وانتهـت المعركـة بانتصـار المسـلمين (ابـن هشـام أ.، السـيرة النبويـة، ١٩٥٥ م، صـفحة ٤٣٧) (الواقـدي، المغـازي، ٢٠٠٦، صـفحة ٨٨٥) امـا فيمـا يخـص عـدد السـبي ذكـرت الروايـات أنـه بلـغ سـتة آلاف مـن الـذراري والنسـاء إلـى جانـب غنـائم كثيـرة مـن الشـاة والإبـل (ابـن هشـام أ.، السـيرة النبويـة، ١٩٥٥ م، صـفحة ٤٨٨) (الواقـدي، المغـازي، ٢٠٠٦،

صفحة ٩٤٣) (الماوردي أ.، ١٩٨٩، صفحة ٢٣١) وورد أن النبي الأكرم محمد(صلى الله عليه واله) أمر احد المسلمين وهو **بسر بن سفيان الخزاعي** بشراء "**ثياب المعقد**" (ابن الاثير، ١٩٧٩م ، صفحة ٢٧١) لغرض كسوة السبايا، وألا يخرج منهم أحد إلا مكسوًا (الواقدي، المغازي، ٢٠٠٦، صفحة ٩٤٣) (البيهقي أ.، ١٩٨٥، صفحة ١٩٣) الامر الذي يظهرُ من خلاله اهتمام تنظيمي واضح في التعامل مع السبي من حيث المظهر والكرامة. المعقد: ضرب من برود الهجر ،بالاستناد الى ما ذكرته الروايات يثار هنا تساؤل عما نقلته فيما يخص تفصيلات الكسوة اذ ان مصطلح "المعقد" لم يُفسر تفسيرًا لغويًا واضحًا الأمر يضعنا أمام احتمالين:

- اما أن يكون اسم لموضع سوق في مكة لم يدوّن جغرافيًا.
- أو أنه وصفٌ لنوع من الثياب ذات طراز معين.

وفي كلتا الحالتين فالثابت هو قيام النبي باختيار كسوة ذات نوعية جيدة، الأمر الذي يوضح بعداً تنظيمياً مقصوداً يهدف النبي من خلاله حفظ كرامة هذه الفئة ومراعاة مظهرهم الاجتماعي ويؤسس لمبدأً انسانياً وحضارياً في معاملتهم يتجاوز فيه حدود الضرورة الحربية الى رحاب الاخلاق النبوية وهذا التصرف يعكس منهج قيم في السياسة النبوية في التعامل مع الاخر حتى في حالات النزاع، اما فيما يخص معاملة السبي وتأطير العلاقة معه فالروايات التي تذكر وطء بعض السبايا بملك اليمين يجب قراءتها ضمن السياق القرآني الحاكم للعلاقات الأنسانية لأن الاسلام لم يُجيز وطأ المرأة لمجرد وقوعها في الاسر بل حدد العلاقة معها وفق أطر شرعية واخلاقية منها اشتراط اسلامها طوعاً وعقد النكاح المشروع كما في قوله عزوجل: "ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن" (سورة البقرة، الآية: ٢٢١) وقوله جلا وعلا " (ومن لم يستطع منكم طولاً ان ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بأيمانكم بعضكم م بعض فأنكحوهن بأذن اهلهن واتوهن اجورهن بالمعروف) (سورة النساء، الآية: ٢٥) فهذه الآيات تنفي جواز وطأ السبايا بغير عقداً شرعي وتعتبر قاعدة عامة تنظم العلاقة بين الطرفين ولم يسمح النبي الاكرم بإقامة علاقة مباشرة دون تحقيق الشروط التي وضحها .

واستكمالاً للمنهج النبوي في تنظيم العلاقة مع السبي نوضح هنا موقفه(صلى الله عليه واله) مع وفد هوزان الذي يمثل امتداداً عملياً يوضح عمق التوجه الشرعي والاخلاقي للنبي الاكرم حين وفدوا عليه بعد ان اعلنوا اسلامهم يلتمسون منه فك اسر ابنائهم ونسائهم وخاطبوه قائلين" "إن في الحظائر عماتك وخالاتك فسألهم (صلى الله عليه واله)" :أيهما أحب اليهم؟ نساؤهم وابناؤهم ام اموالهم

فأجابوه باختيارهم لأبنائهم ونسائهم، فأطلق النبي الاكرم ما كان بيده وقال لهم "ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم" أما ما كان في أيدي باقي المسلمين فجعله (صلى الله عليه واله) مرهونًا برضاهم، وارشدهم الى ان يحضروا صلاة الظهر ويستشفعوا به الى الناس بعد صلاة الظهر ففعلوا ذلك وأجاب المهاجرون والأنصار بما يدل على تفانيهم في طاعة نبيهم في حين امتنعت قبائل اخرى كقبيلة فزارة وسليم وتميم عن اطلاق ما في ايديهم من السبي (ابن هشام أ.، السيرة النبوية، ١٩٥٥ م، صفحة ٤٨٩) (الواقدي، المغازي، ٢٠٠٦، صفحة ٩٥١) (الطبري م.، تاريخ الرسل والملوك، ١٩٦٧، صفحة ٨٧) (ابن حزم الأندلسي، ١٩٠٠م، صفحة ٢٤٥)

ويُستخلص من الرواية عدّة دلالات نقدية:

١. تأكيد النبي محمد(صلى الله عليه واله) على مبدأ الشورى وعدم فرض إرادته على المقاتلين الأمر الذي يوضح احترامه لحقوقهم في الغنائم وفق التشريع الإسلامي.

٢. ان العفو الجماعي عن السبي لم يكُن سببه علاقات الرضاعة او الروابط النسبية ان وجدت بل كان قرار دعوي مدروس يستند الى توجيه قرآني يهدف من خلاله الى ترسيخ قيم الرحمة وكسب القلوب لأنه(صلى الله عليه واله) كان يدرك ان المعاملة الاخلاقية اتجاه الاسرى يمكن ان تكون مدخلاً للإسلام والعفو يفتح افاق جديدة للانتماء والولاء للدين وهذا ما حصل فعلاً اذ ان تلك السياسات اسهمت في ادخال قبائل كاملة للإسلام واسهم في تأمين استقرار اجتماعي و سياسي للدولة الناشئة.

٣. سياسة النبي محمد(صلى الله عليه وآله) في التعامل مع السبي بصورة خاصة والاسرى بصورة عامة كانت تعبير واضح عن سياسة اصلاحية كبيرة تهدف الى تجفيف منابع الرق وتحويل الحرب من اداة اذلال الى فرصة اخلاقية لدعوة الأخر ضمن اطار المن لا الاستغلال والاستعباد ، وتمثل هذه السياسة احد مظاهر التمييز الاخلاقي للدولة الاسلامية الناشئة مقارنة بالأنظمة الجاهلية التي كانت سائدة.

٤. هذه الحادثة توضح تدرج النبي الاكرم محمد(صلى الله عليه واله) في بناء المجتمع الإسلامي القائم على قيم الرحمة والعدل والاعتراف بالحقوق دون إهمال الطبيعة الاجتماعية (القبلية) التي كانت تحكم علاقات العرب آنذاك وتمثل احد نماذج السيرة النبوية التي تمثل الأساس الأخلاقي والسياسي لتعامل المسلمين مع الأسرى والسبايا.

وخير ما نسدل به ختام هذه الدراسة هو الاشارة الى رأي الدكتور مشتاق الغزالي الذي يُمثل خلاصة علمية تجمع بين عُمق الرؤية ودقة التحليل ونحن نشاطره هذا الرأي لما يتسم به من موضوعية وانسجام وقد عبر عن ذلك بقوله: " لم يقبل الاسلام بالمعاملة التي كان يتلقونها العبيد في الجاهلية الا انه في الوقت نفسه سمح بوجودهم في المجتمع الاسلامي اعتقد ان ذلك السماح كان حالة مؤقته الى ان يتمكن الاسلام من التحول الى دولة تنضوي تحت لوائها كل القبائل العربية فحينئذ تنتهي الاسباب التي ادت الى اسر الناس واستعبادهم لأنهم اصبحوا جميعاً ابناء مجتمع واحد منضوي تحت لواء دولة واحدة تكرس مبدأ التفاضل على اساس الايمان لا على اساس المكانة الاجتماعية والطبقية (الغزالي، ٢٠٢١، صفحة ٢٤٠)

كما ان عملية تهيئة المجتمع الى التعامل الانساني مع افراد هذه الفئة لم يكن امراً هين لأن المجتمع الذي عاصر النبي الأكرم بحاجة الى جهد ووقت كبيرين وتشريعات متعددة لأيصاله الى مرحلة الشعور بأن جميع افراده سواسية احراراً كانوا ام عبيد في كيان دولة المسلمين (الغزالي، ٢٠٢١، صفحة ٢٤١) والتعامل مع هذه الفئة كان مقدراً له أن يمر بمراحل متعددة اذ انه لا يمكن ان يمضي بمرحلة انتقالية واحدة لأن المجتمع آنذاك تعامل معهم واستملكهم كجزء من ثقافة وسلوك لنمط الحياة القائمة على ذلك النحو، لذا ان عملية كهذه لا يمكن ان تتم بشكل سريع ضمن مرحلة واحدة من خلال تشريع قرآني، بلا شك أن المجتمع لن ينجح في هذه الانتقالة ولن يتفاعل مع هذا التشريع بإيجابية كاملة لهذا نعتقد ان هذه المسألة كانت تتطلب ان تمر بمراحل كثيرة لأنهاء وجود هذه الفوارق في المجتمع، هذه المراحل تتجاوز في حدودها الزمنية عهد النبي الاكرم لأن عهده لم يشهد اكتمال شكل الدولة النهائي وتكامل رقعتها الجغرافية وهذا التكامل في الشكل والمساحة تحقق في العصر الراشدي (الغزالي، ٢٠٢١، صفحة ٢٤٣)

الخاتمة

بعد المسار البحثي الذي خضناه في صفحات البحث والذي تتبعنا فيه روايات السبي في العهد النبوي وما تضمنته من عرض ونقد وتحليل للروايات التاريخية وموقف المستشرقين منها فأننا الآن نصل الى خاتمة البحث لنوضح فيها ما انتهت اليه هذ الدراسة من نتائج وضحت ابعاد هذه الظاهرة وسلطت الضوء على موقف الاسلام منها في ضوء التشريعات الاسلامية على يد النبي الاكرم محمد(صلى الله عليه واله).

اتضح من خلال هذه الدراسة ان الاسلام لم يبتكر نظام السبي بل كان ظاهرة متجذرة في المجتمع العربي الجاهلي بوصفها نتاجاً للحروب القبلية التي لم تحكمها اي ضوابط انسانية او اخلاقية فجاء الاسلام لمواجهة هذا الواقع ومعالجته ليس بالأنكار النظري وانما بأسلوب اصلاحي متدرج لم يكن له نظير في الشرائع المعاصرة بأدلة تشريعية واحاديث نبوية تكشف عن معالجة متقدمة تراعي العدالة والانسانية وتكبح نزعة الاستغلال وتُعيد للأسير إنسانيته هذه المعالجة النبوية هدفت الى تفكيك بنية السبي دون الاصطدام المباشر بعادات المجتمع الذي لم يكن مهيأً لقبول هذه المساواة، في مقابل ذلك اظهر البحث ان الطرح الاستشراقي في كثير من نماذجه يفتقر الى الموضوعية والانصاف العلمي في تناوله لموضوع السبي اذ انه اعتمد على بعض الثغرات التي تسربت إلى الروايات الإسلامية مما مهّد الطريق امامهم لبناء تصورات مشوهة عن الاسلام والنبي الاكرم محمد(صلى الله عليه واله)

وبذلك فإن هذه الدراسة لا تقف فقط عند حدود الرد او الدفاع انما تتجاوزها إلى إعادة بناء الصورة الحقيقية حول هذه المسألة الشائكة من خلال الجمع بين الرواية والنقد والتاريخ والمقاصد وهي بذلك تُمثل دعوة إلى إعادة قراءة التراث بروح الباحث المتجرد لا بروح المدافع المنفعل مع ضرورة تصفية الروايات مما لحق بها من دس وتحريف وتمييز الصحيح منها بما يليق بعظمة الرسالة الإسلامية وسمو السيرة النبوية وعدالتها.

المصادر

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ) ابن كثير. (١٩٧٦ م). *السيرة النبوية* (الإصدار جزء ٣). (مصطفى عبد الواحد، المحرر) بيروت : دار المعرفة .

، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال (ت٢٤١هـ) ابن حنبل. (٢٠٠١). *المسند* (الإصدار مجلد ١٩). (شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، و آخرون، المحررون) مؤسسة الرسالة.

، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧هـ) ابن الجوزي. (١٩٩٢). *المنتظم في تاريخ الأمم والملوك* (الإصدار جزء ٣). (محمد عبد القادر عطا، و مصطفى عبد القادر عطا ، المحررون) بيروت: دار الكتب العلمية.

، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم (ت: ٦٠٦هـ) ابن الاثير. (١٩٧٩م). *النهاية في غريب الحديث والأثر*. (طاهر أحمد الزاوى، و محمود محمد الطناحي، المحررون) بيروت : المكتبة العلمية .

،إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة (ت: ١٨٨هـ) أبي إسحاق الفزاري. (١٩٨٧). *السير*. (فاروق حمادة، المحرر) بيروت: مؤسسة الرسالة .

Spencer, R. (2018). *The History Of Jihad From Muhammad To Isis.* Post Hillpress.

أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ) الماوردي. (١٩٨٩). *أعلام النبوة*. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

ابو الفداء اسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ) ابن كثير. (١٩٩٢م). *تفسير القرآن العظيم* (الإصدار الجزء ٣). (يوسف عبد الرحمن المرعشلي، المحرر) بيروت: دار المعرفة.

أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله (ت: ٢٩٢هـ) البزار. (١٩٨٨م). *البحر الزخار* (الإصدار جزء ٨). (محفوظ الرحمن زين الله، المحرر) المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم .

ابو جعفر محمد بن الحسن(ت٤٦٠هـ) الطوسي. (١٩٨٨). *التبيان في تفسير القرآن* (الإصدار جزء ٣). (احمد حبيب قصير العاملي، المحرر) مكتب الاعلام الاسلامي.

أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (ت:٣٠٣هـ) النسائي. (١٩٧٦). *الضعفاء والمتروكون*. (محمود إبراهيم زايد، المحرر) حلب: دار الوعي.

ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. (١٩٦٥م). *رسائل الجاحظ في مناقبة الترك*. (عبد السلام هارون، المحرر) القاهرة: مكتبة الخانجي.

أبو عمرو خليفة (ت: ٢٤٠هـ) ابن خياط. (١٩٧٧). *تاريخ خليفة بن خياط* (المجلد الطبعة الثانية). (د. أكرم ضياء العمري، المحرر) دمشق ، بيروت: دار القلم , مؤسسة الرسالة ١٣٩٧.

أبو عمرو خليفة (ت: ٢٤٠هـ) ابن خياط. (١٩٧٧). *تاريخ خليفة بن خياط*. (د. أكرم ضياء العمري، المحرر) بيروت: دار القلم , مؤسسة الرسالة.

ابو محمد عبد الملك (ت٢١٨هـ) ابن هشام. (١٩٨٦م). *السيرة النبوية* (الإصدار الجزء ٢). (مصطفى السقا ، و اخرون ، المحررون) بغداد.

أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت:٤٥٦هـ) ابن حزم الأندلسي. (١٩٠٠م). *جوامع السيرة*. (إحسان عباس، المحرر) مصر: دار المعارف .

أبو محمد، جمال الدين عبد الملك (ت: ٢١٣هـ) ابن هشام . (١٩٥٥ م). *السيرة النبوية* (الإصدار جزء ٢). (مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، و عبد الحفيظ الشلبي، المحررون) مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

أبو محمد، جمال الدين عبد الملك (ت: ٢١٣هـ) ابن هشام . (١٩٥٥ م). *السيرة النبوية* (الإصدار جزء ٢). (مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، و عبد الحفيظ الشلبي، المحررون) مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده .

ابي الحسن احمد (ت ٣٩٥هـ) ابن فارس. (١٩٨٤). *معجم مقاييس اللغة* (الإصدار الجزء ٣). (عبد السلام محمد هارون، المحرر) بلا مكان: مكتبة الاعلام الاسلامي.

أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت ٤٥٨هـ) البيهقي . (١٩٨٥). *دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة* (الإصدار الجزء ٥). بيروت: دار الكتب العلمية.

أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت: ٤٥٨هـ) البيهقي . (١٤٠٥ هـ). *دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة* (الإصدار الجزء ٥). بيروت: دار الكتب العلمية.

احمد بن عبد الوهاب بن محمد(ت ٧٣٣هـ) النويري. (١٩٠٥). *نهاية الارب* (الإصدار الجزء ١٥). القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.

أحمد بن علي بن عبد القادر (ت: ٨٤٥هـ) المقريزي . (١٩٩٩ م). *إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع* (الإصدار الجزء ١٠). (محمد عبد الحميد النميسي، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية .

أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت: ٢٧٩هـ) البلاذري. (١٩٩٦م). *أنساب الأشراف* (الإصدار جزء ١). (سهيل زكار ، و رياض الزركلي، المحررون) بيروت: دار الفكر.

أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت: ٢٧٩هـ) البلاذري. (١٩٩٦م). *جمل من أنساب الأشراف* (الإصدار جزء ١). (سهيل زكار ورياض الزركلي، المحرر) بيروت: دار الفكر .

الحسين بن مسعود(ت ٥١٠هـ) البغوي . (د.ت). *معالم التنزيل في تفسير القرآن* (الإصدار الجزء ٣). (خالد عبد الرحمن، المحرر) بيروت: دار المعرفة.

الفضل بن الحسن (٥٤٨هـ) الطبرسي. (١٩٩٥م). *تفسير مجمع البيان* (الإصدار جزء ٨). بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

المطهر بن طاهر (ت: نحو ٣٥٥هـ) المقدسي. (بلا تاريخ). *البدء والتاريخ الناشر* (الإصدار جزء ٥). بور سعيد: مكتبة الثقافة الدينية.

جواد (ت١٤٠٨هـ) علي. (٢٠٠١م). *المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام* (الإصدار الجزء ٩). بلا مكان: دار الساقي.

حبيب الزيات. (٢٠١٢م). *المرأة في الجاهلية*. القاهرة: مؤسسة هنداوي.

سليمان بن موسى بن سالم بن حسان (ت: ٦٣٤هـ) الحميري. (٢٠٠٠). *الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والثلاثة الخلفاء* (الإصدار جزء ١). بيروت: دار الكتب العلمية ت١٤٢٠ هـ.

(سورة البقرة ، الآية: ١٩٤).

(سورة البقرة، الآية: ٢٢١).

(سورة التوبة ، الآية: ١١٢).

(سورة النساء، الآية: ٢٥).

(سورة محمد، الآية: ٤).

عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت: ٥٨١هـ) السهيلي . (١٩٩١). *الروض الأنف في شرح السيرة النبوية* (الإصدار الجزء ٦). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

عبد المتعال محمد جبري. (د.ت). *السيرة النبوية واوهام المستشرقين*. القاهرة: مكتبة وهبة.

عبد الملك بن محمد بن إبراهيم (ت: ٤٠٧هـ) الخركوشي . (٢٠٠٣). *شرف المصطفى* (الإصدار الجزء ٣). مكة: دار البشائر الإسلامية.

علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ) ابو الفرج الاصفهاني. (د.ت). *الأغاني* (الإصدار الجزء ١٥). (سمير جابر، المحرر) بيروت: دار الفكر.

علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ) الماوردي. (د.ت). *النكت والعيون* (الإصدار الجزء ٤). (عبد الرحيم ، و سيد عبد الموجود، المحررون) بيروت: دار الكتب العلمية.

كارين ارمسترونج. (٢٠٠٨م). *محمد نبي لزماننا*. (فاتن الزلباني، المترجمون) القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.

كربيلي. (٢٠١١). *محمد والفتوحات الاسلامية*. (عبد الجبار ناجي، المترجمون) دار المحجة البيضاء .

محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق (ت١٢٠٥هـ) الزبيدي. (د.ت). *تاج العروس من جواهر القاموس* (الإصدار الجزء ٩). (مجموعة من المؤلفين، المحرر) بلا مكان: دار الهداية.

محمد بن مكرم (ت٧١١هـ) ابن منظور. (١٩٨٥). *لسان العرب* (الإصدار الجزء ١٤). قم: نشر ادب الحوزة.

محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ) الفيروز ابادي. (١٩٨٣م). *القاموس المحيط* (الإصدار الجزء ٣). بيروت: دار الفكر.

محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) الطبري. (٢٠٠٠م). *جامع البيان في تأويل القرآن* (الإصدار الجزء ٢١). (محمد شاكر، المحرر) مؤسسة الرسالة.

محمد بن اسحاق بن يسار (ت: ١٥١هـ) ابن إسحاق . (١٩٧٨م). *سيرة ابن إسحاق*. (سهيل زكار،، المحرر) بيروت: دار الفكر .

محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت:٢٥٦هـ) البخاري. (٢٠٠٢). *صحيح البخاري* (الإصدار الجزء ١). (محمد زهير بن ناصر الناصر، المحرر) دار طوق النجاة.

محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت:٢٥٦هـ) البخاري. (٢٠٠٥م). *كتاب الضعفاء*. (أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين، المحرر) مكتبة ابن عباس .

محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) الطبري. (١٩٦٧). *تاريخ الرسل والملوك* (الإصدار الجز ١١). بيروت: دار التراث.

محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) الطبري. (١٩٦٧). *تاريخ الرسل والملوك* (الإصدار الجز ٢). بيروت: دار التراث.

محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) الطبري. (١٩٦٨). *تاريخ الرسل والملوك* (الإصدار الجز ٣). بيروت: دار التراث.

محمد بن حبان بن أحمد بن حبان ، (ت: ٣٥٤هـ) البُستي. (١٩٩٦). *السيرة النبوية وأخبار الخلفاء* (الإصدار الجزء ١، المجلد الطبعة: الثالثة). (السيد عزيز بك الحافظ ، و جماعة من العلماء، المحررون) بيروت: الكتب الثقافية.

محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد (٢٥٤هـ) البُستي. (١٩٧٣). *الثقات* (الإصدار الجزء ١). الهند : دائرة المعارف العثمانية.

محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ) الواقدي. (٢٠٠٦). *المغازي* (الإصدار الجزء ١). (مارسدن جونس، المحرر) بيروت: عالم الكتب.

محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ) الواقدي. (٢٠٠٦). *المغازي* (الإصدار الجزء ١). (مارسدن جونس، المحرر) بيروت: عالم الكتب.

محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ) الواقدي. (٢٠٠٦). *المغازي* (الإصدار الجزء٢). (مارسدن جونس، المحرر) بيروت: عالم الكتب.

محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ) الواقدي. (٢٠٠٦). *المغازي* (الإصدار الجزء١). (مارسدن جونس، المحرر) بيروت: عالم الكتب.

محمد بن فارس الجميل. (٢٠٠٦). *النبي ويهود المدينة دراسة تحليلية لعلاقة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بيهود المدينة ومواقف المستشرقين منها*. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات.

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد (ت: ٧٣٤هـ) ابن سيد الناس. (١٩٩٣). *عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير* (الإصدار جزء ٢). بيروت: دار القلم .

محمد بن منيع(ت٢٣٠هـ) ابن سعد. (د.ت). *الطبقات الكبرى* (الإصدار جزء ٢). (محمد منصور، المحرر) بيروت: دار صادر.

محمد بن يوسف الصالحي (ت: ٩٤٢هـ) الشامي. (١٩٩٣). *سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد* (الإصدار جزء ١١). (الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، و الشيخ علي محمد معوض، المحررون) بيروت: دار الكتب العلمية.

محمد صادق صبور. (١٩٩٦م). *البغاء عبر التاريخ*. بيروت : المكتبة الثقافية .

محمود عبد الرحمن عبد المنعم. (د.ت). معجم *المصطلحات والالفاظ الفقهية* (الإصدار الجزء ١).

محمود عبد الرحمن عبد المنعم. (بلا تاريخ). معجم *المصطلحات والالفاظ الفقهية* (الإصدار الجزء ١).

مشتاق بشير الغزالي. (٢٠٢١). *السيرة النبوية في ضوء نقد المرويات الاسلامية ورد الشبهات الاستشراقية*. بيروت: دار الولاء .

مقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ) مقاتل. (٢٠٠٣م). *تفسير مقاتل* (الإصدار جزء ٣). (احمد فريد، المحرر) بلا مكان: دار الكتب العلمية.

1. Spencer, R. (2018). *The History Of Jihad From Muhammad To Isis.* Post Hillpress.